

فيدرالية ارتريا مع أثيوبيا

من انسى ماتينسو الى تدلا بايرو

1955 - 1951

تأليف الم سقد تسفاي، وترجمة ابراهيم ادريس توتيل. صدر الكتاب في القاهرة عام 2009 عن المركز القومي للترجمة. قسم الكتاب على 23 فصل على امتداد 617 صفحة من الحجم الكبير.

المقدمة

" في عهد الكفاح المسلح، أي في عامي 1987 و 1988 كان جهاز التنقيف السياسي للجبهة الشعبية لتحرير ارتريا قد اصد كتابين تحت عنواني: " الادارة البريطانية في ارتريا " و " مرحلة الفيدرالية - الاحتلال الاثيوبي لإرتريا " غير ان شح المعلومات وتواضع الامكانيات في ذلك الظرف حالاً دون اعدادهما على نحو شامل. ان الجزء الاول الماكور وهذا الجزء الذي يتضمن المرحلة الاولى من التجربة الفيدرالية، قد بذل فيهما جهد لتجاوز ذلك القصور قدر الامكان.

فكما ذكرنا في مقدمة " لن نفترق " باسهاب، فإن تاريخ ارتريا الحقيقي لا لا يمكن كتابته فقط بالاستناد الى وثائق المستعمرين الذين تعاقبوا عليها وما كتبه المراقبون من الاجانب. ورغم ان تاريخ ارتريا يصنعه الارتريون انفسهم، فإن عدم توثيقه لما كتبوا بمستوى توثيق الاجانب يضع من يتصدى لكتابته امام صعوبة بالغة. ان فترة الاربعينيات التي غطاها الجزء الاول هي أفضل نسبياً من حيث توفر بعض المصادر والمعلومات، وذلك مقارنة بفترة الفيدرالية التي هي اكثر فقراً في هذا الجانب بسبب ائتلاف الحكومة الاثيوبية وثنائها عمدا ونقل بعضها الى اثيوبيا.

لهذا السبب، فإننا في هذا الجزء الذي يغطي الفترة الاولى من الفيدرالية ، هي فترة حكومة " تدلا بايرو "، حاولنا ان نقدم صورة عامة عن تلك المرحلة بالاستناد الى صحف تلك الفترة والمقابلات مع المعاصرين وقرارات المحاكم وتقارير الجمعية الارترية في الفترة المعنية.

وبما ان المعلومات التي امكن العثور عليها تختص بالأوضاع السياسية لتلك الفترة، فإنه يمكن القول ان هذا الكتاب يركز في التاريخ السياسي لمرحلة " تدلا بايرو " وانه لأمر بديهي ان الحديث عن التاريخ السياسي وحده، وتجاهل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية التي ينبغي ان تنال ذات الاهتمام ، لا يقدم صورة متكاملة، ورغم شح مصادر المعلومات التي ذكرنا، فإن مرحلة " تدلا بايرو " كانت في الحقيقة أكثر من غيرها مرحلة طغت عليها المنازعات السياسية، لذلك فإن احداثها نفسها تدفع الكاتب الى الحديث عنها دفعا.

لقد وجد الارتريون في مرحلة الفيدرالية فرصة، وان كانت محدودة، لاختبار بعضهم سياسيا رغم ان ذلك قد تم تحت السيطرة والمؤامرات والوعود الكاذبة الاثيوبية. فبعد ان كانت السياسة الارترية قد انفردت بقيادتها الايطاليون في عهدهم والبريطانيون من بعدهم، فقد الصبح للارتريين بعد مجيء ممثل الامم المتحدة انسى ماتينسو وبدئه تطبيق القرار الفيدرالي، دور في ادارتها مكنهم من التواصل والتجمع والتوافق حيناً والتنافر والانقسامات حيناً آخر. ومن هذه الزاوية فإن الفترة التي بـ " فترة تدلا بايرو " والتي تمتد من 1952 الى 1955 وهي المرحلة الاولى لتطبيق الفيدرالية، وهى فترة في التاريخ الارترى يندر لها مثيل.

سنلاحظ في هذا الكتاب تبدلات كثيرة في المواقف. سنلاحظ ان تلك الحركة القوية التي كانت تردد " أثيوبيا أو الموت " والتي احقت ضرراً بليغاً باستقلال ارتريا ومكنت المستعمر الاثيوبي من الدخول الى ارتريا كانت حركة تفتقد الى اساس شعبي متين. كذلك سنلاحظ ان مدافعين اشداء عن اثيوبيا اخذوا يندمون على مواقفهم السابقة بعد ان ذاقوا شيئاً من الحرية ولتذذوا طعمها فيما نجد من الجاني الآخر من كانوا مدافعين اشداء عن الاستقلال وقد انقلبوا على مواقفهم بعد ان وعدوا بالسلطة أو ذاقوا رحيقها. لقد تحدثنا في الجزء الاول ان المواقف في الاربعينيات كانت يؤثر في تشكيلها تدني مستوى التعليم والتجربة أو الاعتقاد بصحة الخيار و احيانا تغليب المصالح الشخصية أو الجماعية. ومع ذلك يلاحظ القارئ مدى صعوبة الحكم على المواقف التي ظهرت في مرحلة الفيدرالية من منطلق التسامح وحده.

كلما احداث التاريخ التي نعيشها فمن الطبيعي ان يكون تناولها أكثر حساسية وان تتطلب معالجتها الكثير من الدقة والحذر. ولهذا السبب، فإننا تجنبنا قدر الامكان الحكم على الاحداث التي لم نعثر على مستند لها أو لم يقره المشاركون فيها من الاحياء. غير ان هذا لا يعني خلو الكتاب من بعض الهفوات غير المقصودة.

لا يمكن الادعاء بقول فصل في التاريخ وفي كتاب واحد. فالتاريخ هو تفسير لأحداث ماضية. ان كاتب التاريخ يقوم بإختيار الاحداث التي يعتقد انها اثرت في مجرى التاريخ ثم يقوا بتصنيفها وترتيبها وتحليلها بغرض الوصول الى استنتاجات التي يعتقد انها صحيحة. غير ان صحة ما ذهب اليه لا يمكن ان تتأكد الا بعد ان يقوم القراء الختصون بقراءة ما كتب ومقارنته بما لديهم واصدر حكمهم لصالحه. وهذا هو السبب وراء الحكمة القائلة بأن الحكم على أي كتاب في التاريخ يتطلب وقتا أطول.

ونسوق في هذا المضمار مثالا واحدا. لقد اصدر كل من " زودي رتا " الاثيوبي , " تخستي نقاش " الارترري المقيم في الخارج كتابا بإستخدام ذات الوثائق البريطانية والامريكية والاثيوبية التي استندنا اليها في الجزء الاول وفي هذا الجزء. ومع ذلك فإنهما يصلان الى نتيجة مغايرة تماما. يوضح " زودي رتا " ان الارترريين قد اختاروا الوحدة مع اثيوبيا بمحض ارادتهم وان لم يحدث ان مورس ضدهم من قبل اثيوبيا أي ضغط أو قهر يدفعهم الى الانفصال عنها. ويضع "اسفها ولدملكئيل " الذي كان له دور كبير في تمكين اثيوبيا من احتلال ارتريا في مصاف ابطال فترة الفيدرالية كما ان " تخستي نقاش " من جانبه يتحدث عن نضال الشعب الارترري من اجل الاستقلال كنضال منقسم على اسس طائفية، ويستند الى سند شعبي حقيقي موحد وانه لا يزال على حاله. أكثر من ذلك فإن ادعاءاته بان اغلبية الشعب الارترري قد انحازت الى الاستقلال بعد استيلاء الجبهة الشعبية على مدينة افعبت في عام 1988 يحدد لتشكّل الوطنية الاترية هذا التاريخ القريب. وهو يرفض الادعاء بأن الشعب الارترري قد تذوق في عهد الفيدرالية نظاما ديمقراطيا وافكار ديمقراطية. كما انه يجادل بأن استقلال ارتريا لا ينبغي له ان يتحقق كما لا ينبغي ان يجد له القبول.

نحن من جانبنا نؤمن بأن تاريخ ارتريا ليس ميدانا لكل نشاط يستهدف فصل القضايا عن بعضها وتفسيرها بما يخلو. ونحن نعلم ان استقلال ارتريا لم ينزل ذات لحظة كالصاعقة من السماء، وانه لم يتحقق في يوم واح أو بعملية واحدة أو برغبة جيل واحد. ونحن نرفض أي ادعاء بأن تاريخ ارتريا يبدأ يوم اطلق عليها الايطاليون " ارتريا " في 1/1890 أو يوم احتل البريطانيون في ابريل 1941 أو يوم اعلنت الفيدرالية عام 1952 أو يوم اعلن حاد ادريس عواتي الكفاح المسلح في 1/9/1961 أو يوم حققت الجبهة الشعبية الاستقلال في 24/5/1991، ان تاريخ استقلال الشعب الارتري عملية متكاملة، وان جذوره تعود الى عهود ما قبل الاستعمار. ان الشعب الذي وحدته ايطاليا في وطن واحد لم يكن شعبا بلا تاريخ أو تجمع لأفراد منعزلين. كان شعبا يمتلك كل قطاع من قطاعاته قوانينه وانظمته الخاصة. كما كان كأى شعب افريقي قبل الغزو الاستعماري الغربي تربط بين جوانبه علاقات وصلات متفاوتة.

وكما في الجزء الاول فإن هذا الجزء يركز في كل العملية التاريخية التي افضت الى استقلال ارتريا. ان كل اقطار العالم لم تولد بذات التشكيلات التي هى عليها اليوم. وكما ان الحبل الذي يقوى على جر السفينة في عرض البحر مصنوع من الآلاف من الالياف اكتان، فإن الهوية الوطنية والنزوع الوطني اللذين يتطوران الى بناء متين يقومان على الآلاف من العناصر.

ومن الطبيعي ان تتأثر العناصر التي تشكل مقومات البناء الوطني اثناء المسيرة النضالية مما يحتم صيانتها ومعالجتها باستمرار. ان ظهور عوامل ضعف في تاريخ أي شعب لا يعني انحرافا عن الاهداف الوطنية. وبعبارة اخرى فإن ظهور طرف ارتري نادى بالوحدة مع اثيوبيا أو ظهور حركة سياسية قائمة على اساس جهوي لا يعينان الحكم على المجتوع الارتري وتاريخه على اساس تلك الظواهر أو ان يعيش الشعب الارتري اسيرا لها.

ان تاريخ الشعب الارتري هو في الاساس تاريخ نضال ضد مختلف اشكال العوائق والتحديات وانتصار عليها. وعلى الرغم من ان معظم هذه العوائق والتحديات كان من صنع قوى خارجية، فإن ما ادى للاعاقة أو تأخير استقلال ارتريا هو وجود

عوامل ضعف داخلية قابلة للاستغلال. فلا يمكن للقوى الخارجية، شأنها شأن المواد السائلة، ان تتسرب الى الداخل ما لم تجد شقوقا تسمح لها بذلك. ان أي جيل يسعى لتحقيق هدف التحرر والاستقلال ينبغي له ان يدرس تاريخه على نحو يمكنه من معرفة وتحديد نقاط الضعف فيه وجوانب القوة. ونظرا لأن نقاط الضعف التي تبرز في تاريخ سالف لأي شعب هي دروس لجيل قادم، فإن اخفاءها أو التستر عليها أمر ذو ضرر كبير، ويترك فجوات في التاريخ. ومثل هذه الفجوات هي التي تسمح للمستعمرين ولغيرهم من الاعداء بتقديم التاريخ وتحليله بما يحلو لهم.

ان تجربة الاتحاد الفيدرالي مع اثيوبيا في ارتريا مليئة بالفجوات، ورغم المحاولات التي جرت لملء هذه الفجوات في هذا الجزء من الكتاب " من انسى ماتينسو الى تدلا بايرو " فإنه يصعب الحديث عن الغرض قد تحقق على نحو متكامل. والسبب الرئيسي وراء ذلك هو اعتمادنا في الجانب الارتري الخص بتجربة الفيدرالية على ذكريات الافراد الذين عاصروا تلك المرحلة اكثر من اعتمادنا على وثائق ومستندات مكتوبة. وقليلون هم هؤلاء الذين ادركناهم وتمكنا من الحديث معهم، وهم في الحقيقة قد قدموا مما يملكون من معلومات يحمدون عليه. وجدير بالإقرار ان اخرين لم يكونوا راغبين في بسط ما لديهم رغم ما يختزنون من تجارب ومعلومات. وعلى الرغم من ان التاريخ يحمل في طياته مسائل ذات حساسية خاصة، فإنه من المؤسف ان يكون مصير المعلومات التي يحملها الافراد الانغلاق في ذاكرتهم والاندثار معهم. ان الاعتقاد السائد في مجتمعنا بأن الموتى لا ينبغي ان يذكروا الا بحسناتهم ربما كان سببا وراء احجام الكثيرين عن الحديث عما فعلوا وشاركوا فيه.

ولهذا السبب، فإننا عجزنا عن تفسير بعض الاحداث والافعال أو القرارات ذات الصلة بمسؤولي تلك الفترة واعوانهم. وهذا ما دعانا لأن نسأل من سمعوا رغم وجود المشاركين على قيد الحياة. وثمة معلومات مهمة في هذا الصدد اكرهنا على تجاهلها لعدم رغبة الرواة من المصدر الثاني في ذكر اسمائهم.

ان قراء هذا الجزء " من انسى ماتينسو الى تد بايرو " ينبغي أثناء قراءتهم له ان يضعوا في الاعتبار هذه المشكلات التي اكتفت كتابته. قد يجد الباحثون اسئلة كثيرة لم يجب عنها الكتاب وموضوعات لم يعالجها على نحو شاف. ونحن سعداء بأن

يكتشفوا ذلك. وكم نحن نأمل ان يشار الينا لما يجب تقويمه بالحذف والاضافة والتصحيح. وينبغي الاعتراف هنا اننا نحن القراء الارتريين نتسم بالسلبية في هذا الجانب. ويعود سبب ذلك الى اننا لم نفلح بعد في تطوير ثقافة النقد البناء. فبدلا من الاشارة الى جوانب النقص أو العيوب، فإننا نفضل التساؤل عن اسباب تلك النواقص والعيوب. وبما ان هذه الثقافة لا تشجع القلة التي نملك من الكتاب والباحثين على المضي قدما، فإنه ينبغي العمل على تصحيح مثل هذه المفاهيم.

قد يعطي الباحثون تفسيرات مختلفة لأحداث التاريخ، غير ان الحقيقة وما حدث فعلا هو الذي سيغلب في نهاية المطاف. وفي هذه المرحلة فإن تاريخ ارتريا يأخذ شكله الحقيقي فقط بتعاون كل الارتريين المهتمين به. ان الباحث الذي يدفع بحثه الى المطابع، يعلم انه لا يقدم عملا يحق له ادعاء كماله، وذلك لأوجه القصور في المعلومات والمصادر. وتتزايد حساسية تناوله التاريخ عندما تكون المرحلة المعينة قريبة من الزمن الذي يكتب عنه، كما هو الشأن مع مرحلة الفيدرالية، اذ ان الكثيرين ممن عاصروا مرحلة الخمسينيات لا يزالون في الستينيات والسبعينيات من اعمارهم. واننا اذ نقدم هذا الكتاب الاول عن مرحلة الفيدرالية، انما نفعل ذلك لثقتنا في امكانية اثرائه عن طريق مساهمة القارئ والمزيد من البحوث المستفيضة حول ما يثير من احداث وقضايا.

وكما يشير العنوان الفرعي للكتاب " من انسى ماتينسو الى تدلا بايرو " فإن الكتاب يغطي الفترة من وصول مفوض الامم المتحدة الى ارتريا في فبراير 1951 الى تنحي رئيس للحكومة الارترية " تدلا بايرو " في يوليو 1955 يتناول القسم الاول اقامة النظام الفيدرالي بين ارتريا واثيوبيا على نحو تفصيلي. ويتناول القسم الثاني التحديات التي واجهت حكومة " تدلا بايرو " بعد اقامتها ومباشرتها العمل، وذلك خلال عام ونصف العام. وفي القسم الثالث والاخير تناولنا معارضة الشعب والجمعية لتدلا بايرو وتصرفات الحكومة الاثيوبية وردود فعل " تدلا بايرو " والتي ادت مجتمعة الى تنحيه عن السلطة.

أما المرحلة التي تلي سقوط " تدلا بايرو " والتي قادها بتودد " اسفها ولدملكئيل " وانتهت بإحتلال اثيوبيا لإرتريا، في المرحلة الثانية من مراحل الفيدرالية. وستكون هذه المرحلة موضوعا لكتاب آخر يجري إعداده.